قال «لا يوجد لدينا مشاكل مع اليهود لكونهم يهودا وانما عندما يكونون محتلين. اذا رغبوا في العيش في الدولة الفلسطينية فليتفضلوا»

اسماعيل هنية: لن نسمح باجراء الاستفتاء ومن الأفضل لنا العودة للاحتلال والعمليات الانتحارية وأنا لست رئيس حكومة حماس أنا رئيس الحكومة المنتخب لكل الفلسطينيين وأتطلع الى الوحدة والاستقرار

■ اذا كان رئيس الوزراء الفلسطيني اسماعيل هنية قلقا في هذا الاسبوع، فقد نجح في اخفاء ذلك بصورة جيدة. خلال المقابلة التي أجريناها معه في هذا الاسبوع في ديوانه في غزة قابلنا شخصا مبتسما لا يخشى الحرب الأهلية التي بدأت براعمها الاولى تظهر بصورة جيدة في شوارع غزة. إبان لقائنا مع هنية، قرر أبو مازن اجراء الاستفتاء الشعبي حول «وثيقة الأسرى» التي كان الاعتراف بحدود حزيران (يونيو) 1967 كحدود للدولة الفلسطينية في مركزها. الاستفتاء الشعبي يعتبر في نظر حماس تهديدا مباشرا لانجازات الحركة في الانتخابات.

أبو مازن أجل بيانه حتى نهاية الاسبوع، ولكن منذ اللحظة التي صادقت فيها اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف على اجراء الاستفتاء لم يعد أمامهم سبيل للتراجع في الواقع. المبعوث الاوروبي خافيير سولانا الذي زار رام الله هذا الاسبوع وعد بدعم اوروبي. الادارة الامريكية ايضا تُعبر عن ندمها: هي تدرك الآن أنها قد اخطأت في ضغطها على أبو مازن باجراء الانتخابات، وهي تؤيد اجراء الاستفتاء الشعبي.

الرئيس المصري والملك الاردني يؤيدان الاستفتاء، ولكنهما يخشيان الحرب الأهلية. هما يعملان على ترسيخ الهدوء الأمني، ولكنهما لا يتدخلان في القرار. بعض القادة العرب حاولوا التوسط من دون نجاح. أبو العلاء زار دمشق بتكليف من أبو مازن. وحتى علي عبد الله صالح، رئيس اليمن، وجه دعوة للأطراف لاجراء محادثات مصالحة تحت رعايته. أتباع أبو مازن يناشدون اسرائيل الآن بأن لا تتدخل. كل خطوة من جانبها قد تعزز من وضع حماس.

لحظة قبل التدهور

غزة موجودة على شفا الانفجار في هذا الاسبوع حتى من قبل صدور بيان أبو مازن. قوة الشرطة التابعة لحماس انتشرت في كل المفترقات المركزية في المدينة وهي تحمل رشاشات الكلاشينكوف واجهزة الاتصال. حركة الناس تضاءلت في الشوارع، والدكاكين أسدلت ستائرها، وعلى الطرقات تضاءل عدد السيارات المتحركة.

الخوف من التجول في الشوارع هو السبب وراء هذه الظاهرة. غزة واقعة الآن تحت تهديد نشوب الحرب الأهلية، وضائقة المال تترك الأسواق فارغة من الزبائن. متاريس من الأكياس الرملية وُضعت في كل زاوية مركزية والرشاشات بدأت تظهر من على أسطح المنازل.

«خربانة»، قال لي محمود، سائق السيارة العمومية الذي نقلني من حاجز ايريز الى ديوان اسماعيل هنية في الطرف الجنوبي الغربي من المدينة. في شارع صلاح الدين، الشارع المركزي في القطاع، توجد أعلام ما زالت معلقة منذ فترة الانتخابات. على كل عامود اضاءة ثلاث رايات: في الوسط علم فتح الاصفر ومن الجانبين علمان أخضران لحماس. العلم الفلسطيني اختفى. «وماذا عن الوحدة الوطنية»، قلت للسائق، فرد علي بحركة استخفاف بيده.

أبو مازن يسعى من خلال الاستفتاء الى اخراج الفلسطينيين من ورطة حماس التي علقوا فيها بعد اقامة حكومة اسماعيل هنية. هو يعتقد أن الاستفتاء سيُزيل حكومة حماس ويرفع الحصار عن المناطق ويوفر له دعما امريكيا اقتصاديا وسياسيا ويُجبر اسرائيل على العودة الى طاولة المفاوضات.

نبيل عمرو ومستشارو أبو مازن المقربون، يقول إن الاستفتاء ليس مسألة فلسطينية داخلية فقط. هو يُحذر: «اذا لم نحصل على مساعدة من الخارج بعد الاستفتاء ـ من العالم الغربي والعربي ـ فسنعود كلنا الى المربع الاول».

من الناحية الاخرى، حماس لن تتنازل عن انجازها الانتخابي الديمقراطي الكبير. قادة حماس، ومن بينهم كبار مستشاري اسماعيل هنية يقولون: «لن نسمح باجراء الاستفتاء. من الأفضل بالنسبة لنا العودة للاحتلال الاسرائيلي والعمليات الانتحارية، ذلك لأن الاستفتاء سيقود نحو الكارثة».

في هذه الاثناء، وعلى الرغم من الحصار، لا تواجه حماس مشاكل اقتصادية أو ضائقة مالية. من الناحية الاخرى لم يحصل أتباع فتح الذين يشكلون 90 في المئة من موظفي الدولة الفلسطينية ويخدمون في الاجهزة الأمنية، على رواتبهم منذ اربعة اشهر. الجمهور العريض الذي لا ينتمي الى هذا المعسكر أو ذاك، يعاني بصمت ويراقب الأمور في خوف من الجانب.

ليس هناك شك: غزة ناضجة للحرب. قوات حماس موزعة على الارض في كل مفترق وشارع رئيسي. في ورشات حماس يقومون بانتاج الذخيرة بوتيرة سريعة، ومن ضمنها قنابل الراجمات والقنابل الشبيهة بالـ آر.بي.جي. حماس لا تفتقر للاسلحة، كما يقول كبار المسؤولين في اجهزة الأمن الفلسطينية. فتح ايضا تقوم ببناء قواتها. وحدات جديدة أُقيمت، والمتطوعون قد استُدعوا. المشكلة هي أنهم لا يملكون ما يكفي من السلاح. في فتح يعتمدون على اجهزة الأمن والشرطة ويعتقدون أن هذه القوات ستنضم الى أبو مازن عندما تحدث المواجهة الشاملة.

معارك الشوارع تجري في غضون ذلك بين قوة الشرطة التابعة لحماس وبين عناصر الأمن الوقائي، الذي يعتبر الجهاز الأقوى التابع لفتح ورمز سيطرة أبو مازن في غزة، والذي يرفض أتباعه الانصياع لحكومة حماس. ليست هذه حربا أهلية بعد، ومن المتوقع أن تتواصل المعارك الجزئية والصدامات بين الفصائل حتى يوم الاستفتاء.

في هذه المرحلة ليست لحماس أو لفتح أو للسلطة الفلسطينية مصلحة في إشعال الحرب. من المتوقع حدوث تصعيد في معارك الشوارع والصدامات المسلحة حتى موعد الاستفتاء. أحد المسؤولين في السلطة الفلسطينية قال انه لا يخشى من الحرب: «من الأفضل أن يُقتل اليوم 50 أو 100 فلسطيني، على أن يُقتل 1000 منهم بعد سنة أو سنتين»، قال لنا.

«نحن لسنا بحاجة الى الاستفتاء»

اسماعيل هنية، الذي يمتلئ وجهه بالابتسامات والسعادة، قابلنا في مكتبه حيث عُلقت من خلفه صور للاقصى محاطا بالكوفية وصورة كبيرة لياسر عرفات وأبو مازن. عندما لاحظ الدكتور احمد يوسف، الذي هو فايسغلاس هنية، فضولنا من الصور، نظر الى صورة ياسر عرفات وغمزني قائلا بتهكم: «انه رمزنا».

«أنا لست رئيس حكومة حماس، أنا رئيس الحكومة المنتخب لكل الفلسطينيين. أنا أتطلع الى الوحدة والاستقرار والازدهار. وثيقة الأسرى هي قضية تخص حماس وفتح والجهاد والجبهة الشعبية. عليهم أن يتفقوا حولها. نحن نشجع الحوار ونساعد في ايجاد السبل لادارته. أنا رئيس حكومة الجميع»، عاد هنية وكرر القول.

«الوثيقة قد تكون أساسا للمباحثات، وهي تتضمن بنودا مقبولة علينا، ولكن هناك نقاط اخرى يتوجب التداول حولها وايجاد صيغ جديدة»، يقول هنية وكأن ازمة الاستفتاء التي تهدد بدفع غزة الى الحرب الأهلية قد أصبحت من ورائه. «ليس أمامنا خيار إلا أن نعمل معا، وأن نتحلى بالصبر ونواصل الحوار. نحن نفعل كل ما في وسعنا من اجل إنجاح الحوار»، هو يقول بنبرة لا تخلو من الشعور بالمسؤولية الوطنية. «الصدامات على الارض هي مسألة مؤسفة. لا يوجد من يقبل بما يحدث، وسنعمل على وضع حد لمعارك الشوارع. نحن لا نريد هذه الفوضى لانها قد تؤثر على المنطقة كلها. الحرب الأهلية ليست موجودة في قاموسنا بالمرة».

ذكّرنا هنية أن ديوان أبو مازن في رام الله يقول إن المباحثات مع حماس قد فشلت. ولكن هنية يبتسم ويقول: «نحن لسنا بحاجة الى الاستفتاء، ليس لدي شك أننا سنتوصل الى نقاط اجماعية. نحن نبذل كل ما في وسعنا حتى ينجح هذا الحوار الوطني. ليس من الواجب أن يكون سيف الوقت مسلطا على رقابنا».

■ ألا تخشى من انهيار السلطة الفلسطينية؟

■ انهيار السلطة هو مسألة خطيرة. المنطقة كلها ستعاني من ذلك. لذلك نحن نحرص على الحفاظ على السلطة وعلى استمرار بقاء الحكومة، وايصال الخدمات الى الشعب الفلسطيني. كل ذلك حتى لا نصل الى وضعية انهيار السلطة الخطيرة. وعليه، يتوجب على الادارة الامريكية أن توقف حصارها الذي فرضته على الشعب الفلسطيني. كما أن على اسرائيل أن توقف الحصار وأن تفتح المعابر، بما في ذلك أمام الراغبين بالعمل في اسرائيل. نحن تحت احتلال، وعلى المحتل أن يتحمل المسؤولية.

■ ما هو الحل الذي تقترحونه لهذا الوضع؟

■ اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في حدود 1967، مع سيادة كاملة وعاصمتها القدس واطلاق سراح السجناء وتطبيق حق العودة للاجئين في هذه المرحلة. اذا تم تحقيق هذه الأهداف، فسنكون مستعدين لمنح اسرائيل هدنة طويلة الأمد. كم تريدون، 30، 40 سنة؟.

■ وماذا بالنسبة للاعتراف باسرائيل؟

■ هدنة. قلت هدنة. أنا لا أتحدث عن الاعتراف باسرائيل. عندما تكون هناك هدنة سيتوقف العنف وستكون المنطقة كلها هادئة.

■ الموافقة على حدود 1967 تماثل الاعتراف باسرائيل، أليس كذلك؟

■ هنية يستخدم تجربته القليلة في المقابلات الصحافية ويرد على السؤال بهجمة: «لماذا لا تعترف اسرائيل بالدولة الفلسطينية؟ اسرائيل لا تعترف رسميا بالشعب الفلسطيني، ولا بالدولة الفلسطينية في حدود واضحة ولا بالسيادة. اسرائيل تتحدث اليوم عن حل أحادي الجانب. ليست لدي مشكلة في أن يجري أبو مازن المفاوضات مع اسرائيل على أساس تحقيق حقوق الشعب الفلسطيني. ولكنه سيضطر الى طرح النتائج على الحكومة الفلسطينية والمجلس التشريعي والشعب.

■ وماذا عن القرارات الدولية؟

■ هنية يرد بسؤال مرة اخرى: أنتم تطالبوننا بتطبيق القرارات الدولية. وأنا اسأل هل طبقت اسرائيل هذه القرارات؟ أنتم بصعوبة اعترفتم بنصف قرار منذ صدور قرار الامم المتحدة رقم (181 قرار التقسيم).

■ من أين لك هذه الثقة بأن حماس ستنتصر في هذا الصراع؟

■ حماس ستنتصر. أنتم الاسرائيليين تعتقدون أن حكومة حماس هي السبب في هذه العقدة. نحن على قناعة بأن حماس في الحكم قد تؤدي الى الخروج من الشرك الذي علقت فيه المنطقة. حماس هي حركة قوية حصلت على شرعية في الانتخابات، وهي موجودة في الحكم وفي المجلس التشريعي ولديها القوة في الشارع.

■ ألا تخشى من الحرب الأهلية؟

■ الدم الفلسطيني هو خط احمر. يرد هنية ويتوجه الى أبناء شعبه قائلا: حافظوا على دمكم، من المحظور أن يُسفك الدم في الحرب الأهلية. معركتكم مع اسرائيل ما زالت طويلة.

■ اذا كانت الحال كذلك فلماذا شكلت الميليشيا؟

■ ليست لدينا ميليشيات. القوة البوليسية التي شكلناها تعمل في اطار القانون وبتفاهم مع أبو مازن. هي أُقيمت من خلال صلاحيات وزير الداخلية في اطار الشرطة. هذا جهاز أمني جديد.

الغزاويون لقبوا شرطة حماس بـ «البشماركا» ـ كما يُسمون قوة الشرطة الجديدة التي تثير الرعب بين المواطنين في العراق. اغلبية عناصر «البشماركا» هم من كتائب عز الدين القسام، الذراع العسكرية لحماس. في غزة يقولون إن هذه القوة لا تعاني من مشاكل مالية. الرواتب تصلهم في الوقت المحدد، وزيهم العسكري جديد، وأحزمتهم خرجت من المخازن، واجهزة الاتصال والنظارات وحتى سيارات جديدة.

■ ولكن الفوضى ما زالت سائدة في غزة.

■ كل شيء بسبب اسرائيل وبسبب الحصار.

■ لماذا لا توقفون اطلاق صواريخ القسام؟ اسرائيل تقول إنه اذا ساد الهدوء عندنا فسيسود عندكم.

■ أنتم تحولون صواريخ القسام الى قصة كبيرة. أنتم تعرفون ما يحدث عندنا: هجمات، اجتياحات، اغتيالات. ضجيج القذائف الاسرائيلية تحول الى جزء من حياتنا اليومية. القذائف تنفجر فوق المنازل في بيت حانون وبيت لاهيا، أولادنا يُقتلون في عمليات القصف. نحن قلنا دائما أننا ملتزمون بالتهدئة، ولذلك نحن لا نرد. اسرائيل ليست مستعدة للمشاركة في هذه التهدئة. أوقفوا الاجتياحات والاغتيالات. ابدأوا باطلاق سراح السجناء وإزالة الـ 475 حاجزا في أرجاء الضفة فتحصلون على التهدئة. نحن نريد الحل. لقد سئمنا العيش في هذا الوضع، ونحن نريد إزالة الاحتلال والمستوطنات من الضفة والقدس. بعد ذلك سنعقد هدنة طويلة وسيعيش الجانبان في هدوء.

■ طلبت من الجهاد الاسلامي التوقف عن اطلاق الصواريخ. لماذا لا تضغط عليهم.

■ نحن شعب يحب الحياة ويريد الاستقلال والعيش مثل كل شعوب العالم. شعبنا عانى الأمرين من الاحتلال. نحن نريد الهدوء. اذا أوقفت اسرائيل عدوانيتها وفكرت بايقاف احتلالها بصورة جدية والخروج من الاراضي المحتلة سنعطيها هدنة طويلة. نحن نريد الهدوء والاستقرار ولكننا نطالب اسرائيل بالتوقف عن إلحاق الأذى بالشعب الفلسطيني في الضفة وغزة.

■ حكومة حماس تسببت حتى الآن بالحصار والضائقة الاقتصادية الصعبة على الفلسطينيين. كيف ستساعد شعبك؟

■ الوضع الاقتصادي صعب. علينا أن ننظر الى الاقتصاد من خلال زاوية مغايرة. نحن شعب نمر بأوقات عصيبة، شعب فقير ذو امكانيات محدودة. نحن جزء من الأمة العربية، وعليها أن تتحمل مسؤوليتها تجاه الشعب الفلسطيني. الأسرة الدولية بدورها لا تستطيع تجاهل الشعب الفلسطيني طالما كان تحت الاحتلال. وأنتم ايضا مذنبون. اولمرت لا يعترف بنا ولا بالشعب ولا بالحكومة ولا بشرعية الانتخابات. هو فرض علينا حصارا وجمد 220 مليون شيكل من اموالنا. الحصار يلحق الضرر بكل منزل، والتوتر في غزة نابع من هذه المعاناة. لماذا استخدام التعذيب البشري كوسيلة لتحقيق الانجازات السياسية؟.

■ وخطة الانطواء التي يطرحها اولمرت؟

■ القيادة والشعب الفلسطيني يرفضان هذه الخطة.

■ هل ستكونون مستعدين لاقامة اليهود في الدولة الفلسطينية اذا نشأت؟

■ ليست لدينا مشاكل مع اليهود لكونهم يهودا. لدينا مشكلة مع اليهود عندما يكونون محتلين. اذا رغب اليهود في العيش في الدولة الفلسطينية تحت الحكم الفلسطيني، والاعتراف بالدولة الفلسطينية والقانون الفلسطيني من دون سلب للاراضي والاستيطان، فليتفضلوا.

اسماعيل هنية

أجرى المقابلة: روني شكيد
متخصصة في الشؤون الفلسطينية
(يديعوت احرونوت) 2006/6/9

الهدنة كانت قد اقترحت من قبل حماس منذ البداية أصلا

الجميع يخشى من الحرب الأهلية.. وللأسد ما يقوله في هذه القضية

■ للأسد ما يقوله أيضا

في يوم الاثنين جاء ضيف الى دمشق: احمد قريع. رئيس الحكومة الفلسطينية السابق، وأحد مهندسي اوسلو حل ضيفا على بشار الأسد وفي جعبته رسالة من رئيس السلطة محمود عباس. ماذا تضمنت هذه الرسالة؟ ليس معروفا بعد، ولكن رد الأسد عليها، كما نشرته وكالات الأنباء السورية، يشير الى أنها تضمنت طلبا بالمساعدة. ليس المال، وانما المساعدة السياسية. «نحن مع وحدة الشعب الفلسطيني»، هذا كان رد الأسد العلني. شعار فارغ في الواقع لا يشير الى شيء. عمليا، هذا تلميح واسع المغزى لحماس، وخصوصا لقيادة الحركة المستضافة في دمشق. لأن عباس طلب من سورية اقناع أو ربما الضغط على خالد مشعل حتى يوافق على تبني وثيقة الأسرى كبرنامج سياسي لحكومة اسماعيل هنية.

عندما طُلب من قريع أن يسافر الى دمشق، كان رد مشعل العلني الأول معروفا. قبل ذلك بأيام في مقابلة مع صحيفة «الوطن» القطرية، أوضح مشعل أنه يعارض الاستفتاء ووثيقة الأسرى، ذلك لأن الحكومة الفلسطينية هي حكومة منتخبة، وليست هناك ضرورة للعودة الى استفتاء الشارع. «هم لم يُجروا الاستفتاء على اتفاقات اوسلو ايضا». ولكن بين تصريح مشعل وبين زيارة قريع لدمشق حدث شيء جديد آخر: اولمرت التقى حسني مبارك.

صحيح أن الصحافة العربية التي لم تتحمس للقاء قد نشرت صورة مثيرة للغضب يبدو فيها اولمرت وهو يضع يده على كتف مبارك كحركة فوقية روتينية. ولكن فعليا، كان مبارك هو الذي أدار هذا اللقاء وبسط أمام اولمرت خريطة المخاطر والمخاوف العميقة لدى الاردن من الخطوات الاسرائيلية أحادية الجانب، والجزع المصري من الحرب الأهلية في قطاع غزة التي قد يلحق الأذى بسببها بالشرطة المصرية.

المس بعناصر الشرطة المصرية سيُعرض مبارك لضغوط داخلية ويضطره الى الاختيار بين أمرين: سحب قواته والقضاء بذلك على اتفاق محور فيلادلفيا، أو التدخل والتحرك ضد المهاجمين، وكلا الأمرين ليسا سببا للسرور بالنسبة لمبارك. وعليه، كان عليه أن يقوم بشيء ما فورا.

يتوجب مساعدة أبو مازن، ولكن بحكمة وتروى، قال مصدر مصري كان قد أعد للقاء اولمرت ومبارك، لصحيفة (هآرتس). كيف ذلك؟ المصدر: «أولا، يتوجب إنزال الاستفتاء الشعبي عن الشجرة. هل يعرف أحد ما هي نتائج الاستفتاء أصلا؟ وهل سيصوت الفلسطينيون مع وثيقة الأسرى، وهل سيحل ذلك المشاكل بين فتح وحماس؟ ودفع الرواتب؟ وتوزيع الصلاحيات الأمنية؟ يكفي أن تقوم اسرائيل بالقصف وقتل عدد من الفلسطينيين في يوم الاستفتاء حتى يصوت الناس لصالح حماس».

ثانيا، المصدر المصري واصل القول بأنه يتوجب تهدئة قوات الأمن التي ستحصل على الرواتب، عدا عن ذلك المسألة انسانية في جوهرها، ذلك لان الأمر يتعلق بأناس مسلحين لا يملكون الطعام. هذا وضع سيء للأعصاب.

الموافقة على تحويل سلف بـ 330 دولارا لكل عنصر من عناصر الأمن والموظفين في السلطة قد حصلت على ما يبدو، بموافقة من اسرائيل قبل ثلاثة ايام من توجه اولمرت الى مصر. الاردن الذي توجد في بنوكه عدة عشرات من ملايين الدولارات من أموال الدول المانحة، والمواطنين العرب، المخصصة للفلسطينيين، حصل على تصريح باعطاء ضمانات لفروعها في الضفة وغزة لصرف مبالغ محدودة. بذلك، كان بامكان مبارك أن يستقبل اولمرت في موازاة التقارير الاعلامية الواردة حول توزيع الاموال عبر الصرافات الآلية في فروع البنوك الاردنية في المناطق.

الآن أصبح من الواجب معالجة «شجرة» الاستفتاء الشعبي التي وثب أبو مازن فوقها. في يوم السبت قبل انتهاء المهلة بيوم، جاء الى غزة رئيس البرلمان الفلسطيني السابق روحي فتوح من اجل الشروع في ماراثون محادثات مع قيادة حماس. اسماعيل هنية وبعض مساعديه كانوا خلف خطوط الهاتف المفتوحة مع عباس والقاهرة.

روحي فتوح يملك حسابا شخصيا مع بعض قادة حماس الذين نشروا بعد الانتخابات في السلطة رسائل متبادلة بينهم وبين وزير المالية سلام فياض. في احدى هذه الرسائل طلب فتوح من فياض صرف ربع مليون دولار لوكيل سيارات في الاردن مقابل شراء سيارة «بي.ام.في» حديثة ومدرعة. الرسائل التي نشرت كانت أصلية على ما يبدو. خصوصا أن خليفته في رئاسة البرلمان، عزيز دويك، قد تسلم سيارة مرسيدس قديمة موديل 1997، هذه القضية لم تُنسَ، إلا أن فتوح هو سياسي. وفي محادثات غزة أظهر قوته عندما أدرك أن من الواجب التوصل الى اتفاق.

أحد اعضاء حماس الذي يقول عن نفسه انه يعرف تفاصيل المحادثات قال انه كان واضحا لكل الأطراف أن من الواجب النزول عن شجرة الاستفتاء الشعبي. المصريون ضغطوا على هنية حتى يقبل وثيقة الأسرى، أو قرار بيروت الصادر في 2002. عضو حماس المذكور يقول إن قرار قمة بيروت أصعب على الهضم من وثيقة الأسرى. هو يتحدث عن التطبيع والحل العادل للفلسطينيين الذي ليس بالضرورة من خلال حق العودة، ويخرج القرار من أيدي الفلسطينيين.

ولكن هنية لا يريد وثيقة الأسرى ايضا. هو لم يكن شريكا في اعدادها ولا يريد أن يظهر كمن استجاب لاملاءات أبو مازن. كمخرج مؤقت اقترح هنية تأجيل الحسم لمدة اسبوعين لمواصلة الحوار الوطني الجاري. لم يكن هذا مجرد اقتراح وسط. في تلك الاثناء تم تنظيم اللقاء بين الأسد وقريع، وقد جرت محادثة هاتفية بين الأسد ومبارك اقترح فيها الأخير محاولة اقناع قيادة حماس في دمشق بقبول وثيقة الأسرى.

الأسد كان مسرورا لتقديم المساعدة. هو يكون سعيدا دائما عندما يتذكره أحد ما ـ لذلك يكون بامكانه أن يسجل لنفسه نقطة ايجابية، والتي ستكون تغيرا مثيرا في ظل سلسلة الضربات التي تلقاها خلال هذه السنة.

في يوم الاثنين أظهر أبو مازن بعض علامات المرونة. «الاستفتاء ليس الهدف وانما الوسيلة»، قال لشبكات التلفزة. من كلماته تم الفهم أن من الممكن تأجيل الاستفتاء، وأنه من الممكن ترتيب الاوضاع من دونه. في يوم الثلاثاء رفض أبو مازن الاعلان عن موعد الاستفتاء لنهاية الاسبوع.

الآن ستقوم مصر بشد خيطين آخرين: الحرص على التوصل الى الاجماع الذي توصلت اليه حماس وفتح في القاهرة حول توحيد الاجهزة الأمنية، أو على الأقل ايقاف المصادمات المتبادلة واعطاء دفعة اخرى لحماس حتى تقبل صيغة معقولة تبرز استعدادها للاعتراف باسرائيل، وبذلك الوصول الى نهاية الازمة المالية. ثلاثة اتصالات هاتفية ـ من الأسد ومن عبد الله، ملك الاردن، ومن مبارك ـ ساعدت أبو مازن في الاقتناع. الآن انتقلت المسألة مرة اخرى الى أيدي السجناء الاعتباريين. هم الطرف الذي يستطيع أن يعيد صياغة وثيقته، وأن يعتق الجميع من الضغوط الممارسة عليهم. لا يتحدث أحد عن الانطواء، بما في ذلك اولمرت نفسه. المهم أن يسود السلام بين الفلسطينيين وأن لا تنشب الحرب الأهلية. باختصار، أن تكون هناك هدنة.

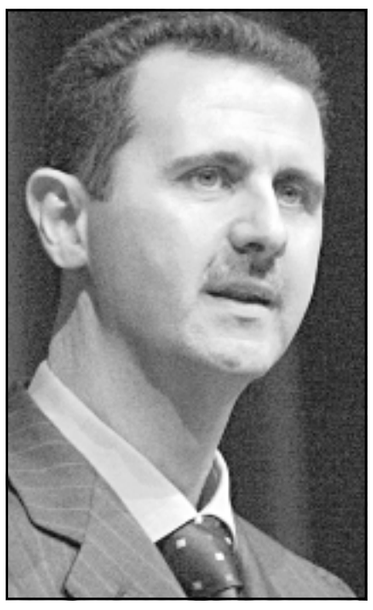

بشار الاسد

ولكن هذه الهدنة كانت قد اقترحت من قبل حماس منذ البداية أصلا.

تسفي برئيل
مراسل الصحيفة للشؤون العربية
(هآرتس) 2006/6/9

يتوجب وضع التمرد في حزب العمل ضمن الاطار النسبي الصحيح

اسرائيل ليست مستعدة لامكانية التفاوض اذا حقق أبو مازن مراهنته باخضاع حماس من خلال الاستفتاء

■ المهلة الاضافية التي منحها رئيس السلطة الفلسطينية أبو مازن لحماس ستنتهي اليوم. اذا لم تُعط مهلة اضافية ستضطر حماس الى اتخاذ قرار بقبول مطلب أبو مازن باجراء الاستفتاء حول وثيقة الأسرى.

أبو مازن لا يملك أكثر من امكانية واحدة. هو لا يستطيع التراجع ولا يستطيع تغيير قراره. عليه أن ينهي النزاع الذي بدأه عندما تسلم وثيقة الأسرى وتبناها بعد ذلك بساعة ونصف، ولم يكن لديه استعداد للتنازل حول مضمونها.

أبو مازن لم يسارع الى تبني الوثيقة من دون سبب: هو قام بذلك حتى ينتزع الادعاء الاسرائيلي ـ الذي كان صحيحا حتى تلك اللحظة ـ بأنه لا يوجد شريك فلسطيني للمفاوضات. الرئيس الفلسطيني يريد أن يقول: ها أنا موجود أمامكم. حصلت على تفويض (استفتاء أو اجماع وطني) حول وثيقة ذات توجه ايجابي للشروط الثلاثة التي وضعتها الرباعية الدولية. الآن لم يعد بامكان اسرائيل أن تدعي أنني صوص منتوف الريش، إلا إن كان من قبل بعض الأطراف التي تخشى الدخول في المفاوضات، والتي تعتبر السياسة أحادية الجانب نوعا من الفرار من المواجهة الحقيقية.

لو كان شارون ما زال بيننا، لكان الاستفتاء الشعبي سببا في أرقه. شارون تبنى خريطة الطريق لسبب واحد: هو لم يعتقد انها ستطبق لأن العرب لن يلُبوا الشرط الاول فيها، وهو تفكيك البنى التحتية للارهاب.

إلا أن كل ذلك قد تغير الآن. اذا نجح أبو مازن في إجبار حماس على اجراء الاستفتاء فسيحشر اسرائيل في زاوية غير مريحة بالمرة: ستكون هناك ضغوط هائلة على اولمرت لاجراء المفاوضات مع الفلسطينيين من دون مطلب تفكيك حماس. رئيس الحكومة سيتعرض لمطالب عالمية تحثه على الدخول في مسار خريطة الطريق من دون تطبيق البند الاول.

اذا كان أحد ما يعول على بوش في هذه القضية فهو مخطئ: بوش سيدعم أبو مازن بحماسة جنونية. هو يعتبره حليفا عربيا مسلما، وهو لن يتنازل عنه. خلال لقائه مع اولمرت أكد له بصورة واضحة الحاجة للمحافظة على أبو مازن. وفي واقع الأمر سيلقى أبو مازن التأييد من كل العالم اذا نجح في اخضاع حماس أو شقها أو اذا انتصر في الاستفتاء. هو سيصبح عزيز العالم الغربي، الرجل الشجاع الذي تصدى لحماس وأعاد تنظيم فتح وحقق اغلبية فلسطينية للتفاوض على حدود حزيران (يونيو).

وهذه مشكلة اسرائيل بالضبط: هي ليست جاهزة لهذه الامكانية. ليس لديها سيناريو لاجراء المفاوضات حول وثيقة بروحية المبادرة السعودية، والتفاوض مع زعيم فلسطيني لا يشطب حق العودة من جدول أعماله. ومن يُرتب أموره وفق فرضية واحدة (عدم وجود شريك) لا يكون جاهزا لوضعية التفاوض حول اخلاء كل المناطق وحول 3,5 مليون لاجئ مسجلين في القرار 194 الصادر عن الامم المتحدة كأصحاب حق هم وأحفادهم بالعودة الى اسرائيل.

بكلمات اخرى: كل انجازاتنا التي حققناها في اقناع العالم ضد حماس وعزلها ستتحول الى ضربة مرتدة منذ اللحظة التي سينتصر فيها أبو مازن. لا غرابة اذا أنه يراهن على كل الخزنة ـ على مكانته في اوساط الفلسطينيين وفي مواجهة اسرائيل وامريكا والعالم أجمع. اذا نجحت مراهنته فستبدأ اسرائيل من نقطة منخفضة جدا. وثيقة الأسرى التي تحولت الى برنامج أبو مازن السياسي، هي وسيلته لتحطيم عدم الاعتراف الفلسطيني التام بدولة اسرائيل. هذا لا يحدث من خلال الكلمات وانما كنتيجة محققة: أبو مازن يتطلع الى اقامة دولة فلسطينية حسب خطوط حزيران (يونيو)، إلا أنه يوصي بتركيز الكفاح الفلسطيني حول تلك التي لم تكن بيد اسرائيل حتى ذلك الحين. بذلك هو يفرض الاعتراف بدولة اسرائيل. ولنر بعد ذلك اذا كانت اسرائيل ستبدي معارضة للتفاوض.

حكومة اولمرت تتصرف بصورة ذكية حتى الآن. النزاع الذي نشب في هذا الاسبوع بين ديختر واولمرت ولفني يجسد ذلك. ديختر يدعي أن هذه ليست وثيقة أسرى وانما وثيقة قتلة، وخلال ذلك اقترح تحويل بيت حانون الى مدينة أشباح. من الممكن فهم احباط رئيس «الشاباك» السابق الذي يضطر لتجربة مذاق صواريخ القسام وهي تنزل على سدروت يوميا، ولكن التفهم لاحباط وزير الأمن الداخلي أقل من ذلك. وبالنسبة للوثيقة، فان اولمرت أوصى من حوله بعدم التركيز عليها. هو اعتبر ذلك قضية فلسطينية داخلية، ووجه الوزراء لعدم التعبير عن موقف والتريث لمعرفة ما سيحدث.

السؤال هو هل ينظر اولمرت وحكومته الى الأمام، وهل هم مستعدون للوضع الذي يتبلور فيه اجماع فلسطيني حول اجراء الاستفتاء وقرار البرلمان الفلسطيني بتبني وثيقة الأسرى.

أو بكلمات اخرى: هل سنُضبط في وضع نكون فيه غير جاهزين عندما تتحول هذه الوثيقة الى أساس للاجماع الوطني الفلسطيني والسياسة الداخلية والخارجية للشعب الفلسطيني؟.

من سمع أفيشاي برفرمان في هذا الاسبوع وهو يتحدث عن عمير بيرتس ـ وقد كان هناك كثيرون مثله ـ لم يُصدق ما يسمعه. ألفاظ مثل: مهيمن، مهووس بالأنانية، عرفنا أنه نابليون ولكن ليس الى هذا الحد، هي جزء من المعزوفة، هذا ناهيك عن التهجمات عليه من قبل رفاقه كوزير للدفاع.

ليس من اللطيف والمريح النظر الى قادة حزب العمل في هذه الايام. اشخاص ذوو مكانة مثل متان فلنائي وأيلون وبرفرمان وياتوم وأفيطال يقيمون بعد شهر واحد من تشكيل الحكومة جبهة تهدف الى اسقاط رئيس الحزب.

ادعاؤهم هو أنه معني بالانتخابات الداخلية، وأنه يريد الهيمنة على الحزب. اذا كان ذلك صحيحا، وهو صحيح، فان بيرتس على حق اذا: مؤسسات الحزب القائمة انتُخبت في عهد باراك وفؤاد وشالوم وسمحون. ليست لديه اغلبية في هذه المؤسسات، ستكون هناك منافسة على رئاسة الحزب خلال 14 شهرا وفقا لدستور الحزب. هذه المجموعة تريد إجبار بيرتس على خوض المنافسة ضمن المؤسسات القائمة التي مر أوان استبدالها منذ مدة طويلة. بيرتس قد يكون نابليون، إلا أنه ليس أحمق.

هم يدعون أنه ليس من المعقول أن يكون ايتان كابل وزيرا بلا حقيبة وسكرتيرا للحزب في آن واحد، خصوصا أنه يعِد بالتنازل عن المنصب الثاني اذا أصبح وزيرا.

هذا مطلب تحريضي من جهة لأن ظاهرة الجمع بين عدة مناصب كانت قائمة دائما، ورعنان كوهين هو مثال على ذلك. وعموما، لا يوجد سبب يحول دون كون وزير بلا حقيبة سكرتيرا لحزب لديه الوقت والخدمات والوسائل الرسمية. من جهة اخرى لا يوجد منطق لتبوؤ شخص واحد لمنصبين هامين في الوقت الذي تسود فيه ضائقة في المناصب في هذا الحزب. المشكلة لم تكن لتصبح بهذا الحجم لو انها لم تتحول الى نزاع حول القوة والمكانة الاعتبارية لبيرتس داخل الحزب، وإلا لنظر بيرتس الى مطلب الفصل بعين المنطق والتفهم.

يتوجب وضع التمرد في حزب العمل ضمن الاطار النسبي الصحيح. هذا تلميح أكثر من كونه تمردا، وربما أمكن القول إنه ليس هاما بصورة كبيرة. المتمردون يقولون لبيرتس اذا قررت الحكم من دوننا فأمامنا خيار الانفصال، وعليه يجدر بك أن تأخذنا في الحسبان، أو أنك ستكون رئيس حزب مع 13 ـ 14 عضو كنيست. حسن، فلنر قوتهم. وعموما من الأجدر أن يكون هناك قائد واحد كان مشدودا الى سقف الحزب. هو يكون سعيدا دائما عندما يتذكره أحد ما ـ لذلك يكون بامكانه أن يسجل لنفسه نقطة ايجابية، والتي ستكون تغيرا مثيرا في ظل سلسلة الضربات التي تلقاها خلال هذه السنة.

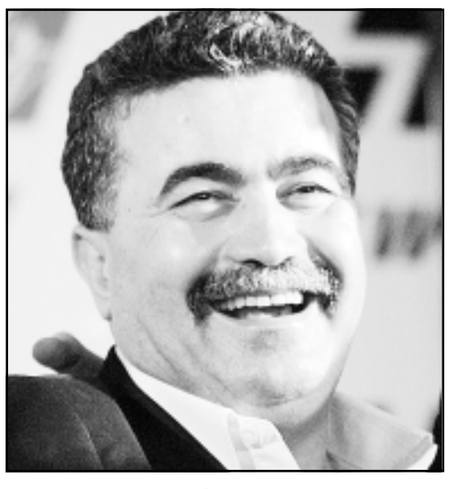

عمير بيرتس

واحد متفق عليه عند الرغبة في اسقاط الرئيس وتقديم موعد الانتخابات وتغيير القيادة.

سيما كدمون
مراسلة الشؤون الحزبية
(هآرتس) 2006/6/9